مجلـــة العلـــوم التربـــوية والدراســـات الإنســـانيــة
Humanities and Educational Sciences Journal
ISSN: 2709-0302 (online)
ISSN: 2617-5908 (print)

العناصر السياقية في خطب الحج للملك عبدالله(*)

الباحثة/ إيمان المقبل
باحثة ماجستير في الدراسات الأدبية
قسم اللغة العربية والدراسات الاجتماعية
جامعة القصيم – السعودية

*) تاريخ تسليم البحث 2/4/2024 تاريخ قبوله للنشر 5/5/2024
*) موقع المجلة: http://hesj.org/ojs/index.php/hesj/index

العناصر السياقية في خطب الحج للملك عبدالله

الباحثة/ إيمان المقبل
باحثة ماجستير في الدراسات الأدبية
قسم اللغة العربية والدراسات الاجتماعية
جامعة القصيم – السعودية

الملخص

يسعى هذا البحث إلى دراسة الحجاج البلاغيّ في الخطب وبالتحديد في خطب الحج للملك عبدالله بن عبدالعزيز، وذلك من خلال دراسة سمات الخطيب والسامع والعناصر الكائنة زمن القول التي لجأ إلية الملك عبد الله في خطبه من أجل إقناع المتلقي واستمالته، فقد راعى الملك عبدالله في خطاباته الحالة الذهنية للسامع والمستوى العقلي له، ووضعه الاقتصادي والاجتماعي كما أن الملك لم يغفل عن العناصر الحجاجيّة التي تؤثر في محتوى الخطبة متمثلة في زمن القول والمقام والمناسبة والمكان، لما لها من أثر حجاجي، واعتمدت الباحثة في دراستها على المنهج الحجاجي، في دراسة دور العناصر الحجاجيّة في إقناع المتلقي. ومن أبراز ما توصل إليه البحث من نتائج أن الخطب يحوي على عناصر حجاجية تمثلت في زمن القول ومناسبته ومكانته، وهذه العناصر تساعد في تغير مفاهيم السامع ومعتقداته، كما يهدف إلى معرفة أهم السمات التي يجب توفرها بالخطيب والسامع قبل إنشاء الخطاب، والتعرف على أهم العناصر الكائنة التي تضمن إذعان السامع.

الكلمات المفتاحية: الخطاب، السمات، الحجاج، الشخصية، المؤسّسية.

Contextual elements in King Abdullah's Hajj speeches

Iman Al-Muqbel
Master's researcher in Literary Studies
Department of Arabic Language and Social Studies
Al Qassim University, Kingdom of Saudi Arabia

Abstract

This research seeks to shed light on the rhetorical argument in sermons, specifically in the Hajj sermons of King Abdullah bin Abdulaziz - may God have mercy on him, by studying the characteristics of the preacher and the listener and the elements present at the time of speech that King Abdullah resorted to in his sermons in order to persuade and win over the recipient. He took into account King Abdullah, in his speeches, reflects the state of mind of the listener, his mental level, and his economic and social status. The King also did not neglect the argumentative elements that affect the content of the sermon, represented by the time of speech, the position, the occasion, and the place, because of its argumentative impact. The researcher relied in her study on the descriptive and analytical approach. In addition to employing the rhetorical argumentative approach in studying the role of argumentative elements in persuading the recipient. The importance of this research is summed up in revealing the characteristics of the speaker and the listener, and how to employ those characteristics in the speech to persuade or influence the recipient. One of the most prominent findings of the research is that speeches contain argumentative elements represented in the time of speech, its appropriateness, and its position. These elements help in changing the listener's concepts and beliefs, it also aims to know the most important characteristics that must be present in the speaker and the hearer before creating a speech, and to identify the most important existing elements that guarantee the listener's compliance.

Keywords: speech, features, speaker, listener, occasion, place, time of speech.

المقدمة:

لم تعد الخطابة محصورة على الرموز اللغوية بل اتسعت لتشمل الخطيب والسامع والعناصر الكائنة في زمن القول لحدوث عملية تواصلية ناجحة، ونظرًا إلى أهمية الخطيب فقد بيَّن العلماء والبلاغيّون قديمًا وحديثًا أهمّيّته، واشترطوا وجوب اتصافه بالعديد من السمات والضوابط والخصائص التي يجب أن تتوفّر فيه، لما لها من أثر كبير في الإقناع والتأثير في نفوس السامعين.

ويكتسب السامع في الخطابة أهمّيّة كبيرة إلى جانب الخطيب، ولذلك اعتنى به البلاغيّون، وضبطوا له مجموعة من الشروط والسمات، ليحصل التوافق مع الخطيب، وتنهض الخطابة بوظائفها.

وستخصّص الباحثة هذا البحث لدراسة الخطيب والسامع في خطب الملك عبد الله، وتبحث في خصائص كلّ منهما. فما خصائص الخطيب والسامع؟ وما السمات المميّزة لكلّ منهما؟ وما لعناصر الكائنة؟

أهداف البحث: سعى البحث إلى تحقيق عدّة أهداف، من أهمّها:

١- بيان أهمية السامع في بناء الخطب.

٢- دراسة العناصر السياقيّة الكائنة زمن خطب الحجّ.

٣- كشف سمات الخطيب ودورها في الإقناع.

أهمية البحث: تتمثّل أهمّيّة البحث في دراسة نوع من الخطاب يقوم في أساسه على الحجاج، وبيان كيفيّة توظيف الحجاج البلاغيّ في هذا النوع من الخطاب. ومن أبرز أسباب اختيار الموضوع:

- تواتر الحجاج البلاغي في خطب الحجّ عند الملك عبد الله لإقناع المتلقي والتأثير فيه.
- تظهر أهمية الموضوع في الكشف عن العناصر الحجاجية.
- اعتمدت الباحثة في دراستها على المنهج الحجاجي لدراسة دور العناصر الحجاجيّة في إقناع المتلقي.

وتم تقسيم البحث إلى مقدمة وثلاثة مباحث ونتائج. المبحث الأول الخطيب، والمبحث الثاني السامع، والمبحث الثالث العناصر الكائنة، وتلى ذلك النتائج. وسيتم البحث فيها على النحو الآتي:

الخطيب:

يعدّ الخطيب هو الطرف الأوّل والأساسيّ في الخطابة. والخطيب في المدوّنة المدروسة هو الملك عبد الله. فما سماته؟ وكيف بدت أوضاعه الذهنيّة والنفسيّة؟

الوضع الشخصي للخطيب (التعريف بالملك عبد الله –رحمه الله–):

اتفقت جميع المصادر والتراجم التي ترجمت للملك عبد الله –رحمه الله– على أنَّه عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل بن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود..... بن نانع بن ربيعة المريدي المنتهي نسبة إلى بكر بن وائل من بني أسد بن ربيعة في مدينة الرياض سنة ١٣٤٩هـ-١٩٣١م.

وقد عاش في كنف والده الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، فعلقت في ذهنه أحداث تلك المرحلة التاريخية، وهي مرحلة كانت مشحونة بالصراعات القبلية والفكرية في شبه الجزيرة العربية، إلى جانب التطورات السياسية في الوطن العربي وفي العالم أجمع إبان الحربين العالميتين(١).

الوضع الجسمي للخطيب:

من بين أهم صفات الخطيب الوضع الجسميّ، فمن الضروري سلامته الجسدية خاصة سلامة جهاز النطق، وخلوه من العيوب الخلقية، وتمكنه من نطق الحروف بشكل سليم، بما يتوافق مع خصائص كل حرف من حروف اللغة العربية، وخلوه من عيوب النطق وما شابه.

وتتأثر الخطبة بالوضع الجسمي للخطيب؛ لأن "تقديم الذات في البلاغة اليونانية قام على أساس أن (الإيتوس) فعل تأثيري، ومشروع إقناعي مرتبط بنجاعة الخطاب، فالإيتوس انطلق من مبدأ أنه يستحيل الإقناع دون أن يظهر الخطيب في البداية بصورة توحي بالمصداقية والثقة، فالخطاب الإقناعي لا يؤثر في السامع بالحجج العقلية أو بتحريك أهوائه فقط، ولكنه يؤثر أيضًا بتقديمه لذاته في صورة قابلة للإيحاء بالثقة"(٢).

وركَّز الفارابي على تعبيرات الوجه، فأورد: "ومنها سحنة وجه الإنسان أو شكله أو شكل أعضائه ومنظرها، أو فعله عندما يتكلم، مثل أن يخبر بورود أمر مخوف قد قرب، فيُرى وجهه وجه خائف أو هارب، فذلك يوقع التصديق له، وإن عمل غير ما أشار به كان أقلّ إقناعًا"(٣).

والمتأمل في خطب الملك عبد الله يلاحظ سلامة جهاز النطق. وهو ما نجده في خطبته المعنونة (لا ترهب ولا رهبانية في الإسلام)، جاء فيها:

قوله: "**انطلاقًا من عقيدتنا السمحة التي تأمرنا بالتكافل بوصفنا مواطنين والتراحم بوصفنا مسلمين، والتضامن بوصفنا عربًا، فإنَّ المملكة العربية السعودية ومنذ أن تجسدت راية التوحيد ونواة للوحدة الإسلامية الشاملة كانت وما زالت تبذل كل جهد في سبيل توحيد المسلمين...**"(٤).

يلاحظ اتساق الوضع الجسمي للخطيب مع محتوى الخطبة؛ إذ تناول قضية الوحدة العربية، والجهود التي بذلتها المملكة العربية السعودية في هذا الصدد، وبدا الخطيب مقنعا بامتلاكه الوضع الجسمي الملائم للخطبة، وتمكُّنه من آليات النطق السليم، ومخارج الأصوات التي تنم عن أرومة عربية أصيلة مما ورد في الفقرة من حروف الحلق، كالقاف (عقيدتنا)، الصفير، كالسين والشين (السمحة – شاملة)، الأنفية، كالنون (انطلاقًا – أن تجسدت)، مما عبَّر عن أصالة الثقافة العربية، والتمرس في فن الخطابة، واتسق مع قضية الوحدة العربية التي تقوم على اللغة في المقام الأول.

الوضع المظهري الخطيب:

التزم الملك عبد الله –رحمه الله– في مستوى الوضع المظهري في خطبه بالزي العربي السعودي، المعروف في المملكة، وهو اللباس الوطني السعودي. ويتكوّن من الثوب الأبيض، وغطاء الرأس المشدود بالعقال. وكان الملك عبد الله يغيّر هيئة غطاء الرأس بين حين وآخر.

الوضع الاجتماعي الخطيب:

أنَّ الملك عبد الله –رحمه الله– ينتمي إلى قبيلة عربية أصيلة، شريفة النسب، لها مكانتها الاجتماعية في الماضي وفي الحاضر وفي المستقبل، فهو ينتمي إلى قبيلة بكر بن وائل من بني أسد بن ربيعة(٥). وقد كانت له –رحمه الله– مكانة اجتماعية كبيرة.

وتجلى هذا الوضع الاجتماعي في كثرة استشهاده، بالسنن المكتوبة، كالقرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، وكان لذلك أثره في إقناع السامع بالأطروحة الحجاجية للخطبة؛ اتساقًا مع الوضع الاجتماعي الذي ينتمي إليه الخطيب.

الوضع المؤسّسيّ للخطيب:

تدرج الملك عبد الله في المناصب وسط هيمنة التيار الديني المحافظ، ومع مرور الوقت أصبح ملكًا للمملكة العربية السعودية. ففي ١١ رمضان ١٣٨٣هـ الموافق لعام ١٩٦٣ أصدر الملك سعود مرسومًا ملكيًا يقضي بتعيينه رئيسًا للحرس الوطني. وفي سنة ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م عين نائبًا ثانيًا لرئيس مجلس الوزراء ورئيسًا للحرس الوطني وكان ذلك أثناء مدة حكم الملك خالد بن عبد العزيز. وفي تاريخ ٢١ شعبان ١٤٠٢هـ الموافق لـ١٣ يونيو ١٩٨٢م صدر أمر بتعيين الأمير عبد الله بن عبد العزيز نائبًا أول لرئيس مجلس الوزراء ورئيسًا للحرس الوطني بالإضافة إلى ولاية العهد.

وكان قد تولى أيضًا عددًا من المناصب الأخرى وهي:

١– رئيس المجلس الاقتصادي الأعلى.

٢– رئيس المجلس الأعلى لشؤون البترول والمعادن.

٣– رئيس المجلس الأعلى للمعوقين.

٤– رئيس مؤسسة الملك عبد الله بن عبد العزيز لوالديه للإسكان التنموي.

٥– رئيس نادي الفروسية في الرياض.

ثم تسَّلم الملك الحكم يوم الاثنين ٢٦ جمادى الثانية ١٤٢٦هـ الموافق لـ١ أغسطس ٢٠٠٥م وأصبح ملكًا للمملكة العربية السعودية خلفًا للملك فهد بن عبد العزيز آل سعود، وبويع أخوه الأمير سلطان بن عبد العزيز آل سعود وليًا للعهد.

وبعد مبايعته بالحكم خطب إلى الشعب السعودي، في هذه المناسبة، وقد بدأ خطبته بالترحم على الملك فهد بن عبد العزيز، فقال في مجمل خطبته: "**وفي هذه الساعة الحزينة نبتهل إلى الله –عز وجل– أن يجزي الراحل الكبير خير الجزاء عما قدمه لدينه ثم لوطنه، وأن يجعل كل ذلك في موازينه وأن يمن علينا وعلى العرب والمسلمين بالصبر والأجر**"(٦).

وتجلى الوضع المؤسسي للخطيب في اتباع الأعراف والتقاليد المعتادة في مثل تلك الظروف، وتعزية الشعب السعودي والإسلامي في سلفه الراحل، وتقريره قيام سلفه بجميع ما يمليه عليه وضعه المؤسسي جزءا لا يتجزأ من انتمائه العروبي والإسلامي، ودعائه له بالرحمة والمغفرة (نبتهل إلى الله –عز وجل– أن يجزي الراحل الكبير خير الجزاء عما قدمه لدينه ثم لوطنه، وأن يجعل كل ذلك في موازينه).

ولهذا العنصر في الخطبة أثره في تهيئة السامع نفسيًّا لعهد الملك القادم، واقتناعه بأنه سيكون خير خلف لخير سلف، ومن ثم، تأتي إجادة الخطيب في تقديم نفسه عنصرًا مهمًّا لإقناع السامع؛ إذ أننا "ننجذب بشكل أكثر تلقائية وسرعة نحو الأخيار"(٧).

الانتماء الثقافيّ للخطيب:

لقد تجلى انتماء الملك (عبد الله)، إلى العروبة والإسلام، والمتأمل في خطبه يلاحظ أنَّه متشبع بالمبادئ الدينية الإسلامية السمحة، والقيم العربية الأصيلة. وقد تبين من خلال ما بين أيدينا من خطب وكلمات أنّه كان شديد الحرص على الالتزام بهذه القيم وحمايتها والعمل على ازدهارها؛ إذ إنه كان يعمد إلى تقديم الانتماء من خلال تقديم الكم الثقافي في خطاباته، ووعيه، من منطلق أن المخاطب يقدم ثقافته إلى الآخرين في خطاباته بشكل واع وغير واع(٨).

ويتجلى ذلك في خطبته التي ألقاها بمناسبة حلول عيد الفطر المبارك، وجاء في نصّها: "فقد منَّ الله العظيم علينا بنعمة الإسلام، وهي خير النعم، وهدانا لأن نكون من أولئك الذين اتبعوا النور الذي أنزل على الرسول النبي الأمي الذي بعث ليكون رحمة للعالمين، وليتمم مكارم الأخلاق وليكمل رسالات الخالق لخلقه كما قال عز من قال: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾، [الأعراف: ١٤٧]. وقال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾، [البقرة: ٢٥٦]"(٩).

ويتّضح في هذا المثال الحضور المتواتر للقيم الإسلامية. واعتزاز الخطيب بانتمائه الإسلامي، وعدِّه ذلك نعمة من أجلّ نعم الله على الإنسان، وظهر انتماء الخطيب كذلك لمصادر التشريع كالقرآن والسنة، وتقديره وإعزازه لشخص النبي محمد، صلى الله عليه وسلم، ومن ثم، فقد اكتسب الخطيب الانتماء الثقافي المناسب لإقناع السامع بالقضية الحجاجية التي تتناولها الخطبة؛ ليضمن التأثير في الخطيب وإقناعه لافاقهما

على الخلفية المعرفية المشتركة التي يظهر فيها الخطيب بصورة لائقة؛ إذ لا تأثير لشخص ماجن على الآخرين كما أورد الجاحظ(١٠)، والتأثير يكون من منطلق اشتراك المرسل والسامع في الخلفيات الثقافية والمعرفية أو بعضها(١١).

١-الأحوال الذهنيّة والنفسيّة للخطيب:

أ- الأحوال الذهنيّة

تُعدّ الأحوال الذهنية عنصرًا مهمًا في دراسة الخطيب، سواء ما تعلّق بما يدور في ذهنه أثناء إلقاء الخطبة، أو موقفه من السامع، أو معارفه السابقة. فلتلك الأحوال الذهنيّة دور مهمّ في إيصال رسالة الخطيب إلى السامع، وتحقيق الغرض الأساسي من الخطبة.

وكان الملك عبد الله من بين الخطباء الذين أدركوا هذا الجانب إدراكًا عميقًا في خطبه، واتّضح ذلك في قوله: "**اسمحوا لي أن أشارككم في هذا اليوم المشهود بعض الأفكار التي استوحينا من رؤية الجموع الحاشدة وهي تقف بخشوع في الصعيد الطاهر ملبية نداء الرحمن. إن الفكرة الأولى التي تمر بذهن كل من يرى منظر الحجيج المهيب هي أن الوحدة مفتاح التقدم، لو أنَّ الوحدة التي تتجلى أيام الحج الوحدة التي تذوب أمامها الأجناس والألوان تجلت في تصرفات المسلمين اليومية مع بعضهم البعض لكانت حالنًا غير هذه الحال**"(١٢).

واعتمد الخطيب أعلاه على مراعاة الصور الذهنية لدى السامع، بحيث اتفق ما أورده مع قناعات السامعين، كأن الوحدة مفتاح التقدم، وأن لا فرق بين الأجناس في ميزان الإسلام مما راعى مبدأ العدالة كمبدأ حجاجي أرضى قناعات وثوابت السامع، واتفق مع أفكاره؛ لينعكس ذلك على سلوكه(١٣).

ب- الأحوال النفسيّة للخطيب:

تتضح الأحوال النفسية للملك عبد الله -رحمه الله- في جانبين: الاطمئنان والقلق في الوقت نفسه، وفي الحقيقة فقد برع -رحمه الله- في التوفيق بينهما، ومراعاة كلّ حالة، ففي أغلب الوقت يكون واثقًا وهادئًا، وفي أحيان أخرى يكون قلقًا على مصالح الشعب، وكذلك الوضع العربي الإسلامي عمومًا، وقد اتضح ذلك في العديد من خطبه وكلماته. فهو يقول جامعا بين الاطمئنان والقلق: "**إنَّ استقرار لبنان ورخاءه وازدهاره واستعادة دوره العربي والدولي كل ذلك مرهون بجعل المواطنية لا الطائفية دستورًا للتعايش بين أبنائه؛ فالدين لله عزّ وجل والوطن للجميع. إنني لواثق ولا سيما بعد التجارب المريرة التي عاناها لبنان الشقيق من أن الإخوة اللبنانيين يعرفون حق المعرفة أن خلافاتهم أقل من أن تكون خلافات هامشية إذا قيست بمصير لبنان أرضًا وشعبًا**"(١٤).

يتّضح من خلال ما تمَّ عرضه وبيانه في مستوى الخطيب؛ أنَّ الخطيب قد تميّز في خطبه وكلماته بكل سمات الخطيب الناجح، فكانت خطبه مؤثّرة ومقنعة. وإذا كان الخطيب على هذه الصورة فكيف ستبدو صورة السامع في خطب الملك عبد الله؟

٢-السامع:

وهو العنصر الثاني في الخطابة، بعد الخطيب، فهو الذي تُلقى إليه الخطابة، وهو من يتوجه إليه الخطيب مباشرة بخطبته، وعليه تعقد الغاية من الخطبة، وإليه كُتبت، فهو حاضر في ذهن الخطيب عند الكتابة، ويُراعى على إثر ذلك كل ما يتعلق به، من حالة ذهنية ومستوى عقلي، ووضع اقتصادي واجتماعي ونفسي، والجو السياسي العام.

وقد أكد محمد مشبال أنَّ الخطابات الحجاجية لا تنفصل عن الذوات المشاركة فيها، فالخطاب البليغ موصول بصاحبه وكذلك بسامعه، فالخطاب منسوج بالإصغاء إلى المستمع ومراعاة أحواله"[١٥]، فضلا أن دلالات الخطاب تحدد بناء على تفاعل السامع مع الخطيب[١٦].

وتتلخص صورة السامع فيما يلي:

أ- الأوضاع الشخصية والمؤسسية والمظهرية والجسمية للسامع:

يتأثر السامع بالخطبة الموجه له من حيث مظهره ووضعه الجسمي، التي تهدف لإقناعه والتأثير فيه، وهو ما قرَّره أرسطو كهدف عام للخطبة التي تجعلنا "نتغيَّر، فنغير أحكامنا، وتكون متبوعة بالألم أو اللذة، مثل: الغضب، الشفقة، الخوف، وجميع الانعالات الأخرى المشابهة وأضدادها"[١٧].

ويفترض الخطيب تنوع السامعين للخطبة المذاعة عبر وسائل الإعلام المختلفة، فيراعيها في خطبته والقضية الحجاجية التي تشتمل عليها، ومن ذلك خطبة الملك عبد الله المعنونة (لا ترهب ولا رهبانية في الإسلام):

"يطيب لي في هذه المناسبة السعيدة عيد الأضحى المبارك أن أتوجه إليكم جميعًا وإلى الإخوة المسلمين في أقطار الأرض كافة وإلى المواطنين الأعزاء بأصدق التهاني بالعيد السعيد متمنيًا لحجاج بيت الله الحرام حجًا مبرورًا وذنبًا مغفورًا"[١٨].

إذ نلاحظ أن الخطيب قدَّم تهنئة عامة لكل السامعين في الأمة العربية والإسلامية، وشملت التهنئة حجاج بيت الله الحرام وغيرهم، مما راعى فيه الخطيب عمومية المظهر والأوضاع الشخصية والمظهرية للسامع.

أما الوضع المظهري للسامع، فقد راعاه الخطيب في قوله: متمنيًا لحجاج بيت الله الحرام حجًّا مبرورًا وذنبًا مغفورًا، وهو ما راعى فيه الخطيب مظهر السامع الذي لم يزل يرتدي ملابس الإحرام على النحو الذي أسهم في تقوية القضية الحجاجية التي اشتملت عليها الخطبة.

ب- الوضع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي للسامع

وتجلت رعاية الخطيب للوضع المجتمعي للسامع في خطبته المعنونة (الاقتصاد في استخدام الماء واجب شرعي)، جاء فيها: وكذلك خطبته التي جاءت بعنوان: الاقتصاد في استخدام الماء واجب شرعي، في قوله:

"وعلى الرغم من هذه الظروف المناخية القاسية، فقد تمكنت الدولة، بحمد الله تعالى، من توفير الماء العذب للمواطنين المقيمين في جميع مدن ومحافظات وقرى وهجر المملكة العربية السعودية... إلا أنه، وللأسف الشديد، تولَّد لدى البعض عدم المبالاة في استخدام الماء إلى حدِّ الإسراف في استعماله بعيدًا عن روح المسؤولية، ومنطلَق المواطنة الصادقة"(١٩).

ونلاحظ أن القضية الحجاجية التي اشتملت عليها الخطبة تمثَّلت في قيمة الماء العذب كأغلى ثروة بشرية، ومن ثم، فلا ينبغي إهدارها فيما لا يفيد، وهو ما راعى فيها الخطيب الأوضاع المجتمعية للسامع في قوله: المواطنين المقيمين في جميع مدن ومحافظات وقرى وهجر المملكة العربية السعودية، وقصد بذلك المواطنين السعوديين أو الوافدين للحج أو العمل على أراضي المملكة، وبرزت التسوية بين الفريقين كمبدأ حجاجي استهدف إقناع السامع بناء على وضعه الاجتماعي.

وجاءت جهود الدولة لتوفير الماء العذب مما يزيد القضية الحجاجية تأثيرًا في السامع؛ ليحيل الخطيب بذلك على وضع مجتمعي ينتمي فيه المواطن أو المقيم للدولة ككيان مسؤول عنه، وهو ما يقتضي بداهة التساوي في الحقوق والواجبات أمام مؤسساتها، فضلًا عن الحفاظ على مقدراتها؛ لينعم الجميع بحياة مستقرة، مما استعمل فيه الخطيب حجة (الأهواء) لإقناع السامع بما يتوافق مع ميوله وحالاته المزاجية(٢٠)، باعتبار الأهواء طائفة من المشاعر والأحاسيس والانفعالات التي تؤثر في السامع وتحدد سلوكه تبعا لذلك(٢١).

كذلك، اتسق التحذير الوارد مع حجة الأهواء؛ لأن استمرار السلوك المتجاوز سيعرض السامع للحرمان من الاستقرار في حياته، بما يشكل تهديدًا لها.

أما مراعاة الوضع الاقتصادي للسامع، فتجلى في الخطبة المعنونة (لا ترهُّب ولا رهبانية في الإسلام)، جاء فيها:

"فالإسلام نظام اقتصادي يختلف عن الرأسمالية بكلِّ تفرُّعاتها، وعن الماركسية بكل مشتقاتها؛ فهو يتعامل مع الإنسان كمخلوق كرَّمه الله سبحانه وتعالى، حيث قال في كتابه الكريم: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا}(٢٢).

إذ راعى الخطيب الوضع الاقتصادي لسامع الذي ينتمي لمناهج اقتصادية متعددة، ومن ثم، فقد اعتمد على السنن المكتوبة التي تقوي الطرح الحجاجي لدى السامع، الذي تمثل في شمولية الإسلام ومناسبته للحياة بوصفه نظاما اقتصاديّا شاملا، مما يمثل أرضية حجاجية يلتقي عليها السامعون من كافة الدول.

ونلاحظ أن الحجة التي لجأ إليها الخطيب غير مباشرة لكل سامع بعينه، بل جاءت عامة، كما نبَّه (بيرلمان) بقوله: "لا يكون السامع بالضرورة ممن يتوجه إليهم الخطيب صراحة، ففي البرلمان البريطاني يُفتَرض في الخطيب أن يتوجه بكلامه إلى رئيس الغرفة"(٢٣)، والتي ناظرها أعلاه الكيان الإسلامي ككل، فيكون تعميمه لشمولية الإسلام باعتباره نظاما اقتصاديّا مناسبًا لكافة السامعين.

وجاءت الخطبة المعنونة (أعيادنا فرصة للتعاطف والتآخي):

"**وكيف لنا أن ننعم بالحياة، أو أن نسعد في المناسبات، وصرخات المكلومين والمظلومين والمحرومين تهزُّ مشاعرنا، وتخزُّ في نفوسنا، يحملها إلينا الأثير بالصوت والصورة من شعب البوسنة والهرسك، ومن أبناء شعب فلسطين المناضلين في الأراضي المحتلة، ومن المُبعَدِين عن دارهم وأهليهم إلى فيافي جنوب لبنان**"(٢٤).

إذ قدَّر الخطيب أن من سيسمعه إما أن يكون من أولئك الذين يعانون أو غيرهم من إخوانهم في شتى بقاع الأرض، فضلًا عن السامع غير العربي، ومن ثم، اعتمد الخطيب على إثارة اشفقة تجاه المضطهدين، من المسلمين، في كل مكان، فجاء الخطابي يجيد "إثارة الأهواء وبناء الانفعالات"(٢٥)، فيكون ذلك أبلغ في إقناع السامع؛ إذ لابد للخطيب "أن يتخير نازعة أو نازعتين، فيوقد الكامنة، أو يخمد المتوهجة تبعا لموضوع الخطاب"(٢٦).

وقد عدَّد الخطيب مظاهر المعاناة التي تعتمد على الوضع السياسي للسامع، من الصرخات والحرمان، والنضال من الشعب الفلسطيني الأعزل، فضلًا عن النفي عن الوطن، وهو ما يضمن توقُّد النازعة الكامنة لدى السامع لعدم رضاه عن الممارسات التي تُرتَكب ضد إخوانه من المسلمين في شتى بقاع الأرض.

ج- الدرجة العلميّة والانتماء الثقافيّ للسامع:

ويخاطب فيه الخطيب السامع مراعيًا انتماءاته وثقافته، فيكون ذلك أبلغ في استدعاء الخطيب ليكون حكمًا، فيتفق مع ما ذهب إليه الخطيب؛ بوصفه الأنفع والأجدى(٢٧).

ومن ذلك خطبته المعنونة (القدس أمانة في أعناق المسلمين):

"**لذلك، أغتنم هذه المناسبة الكريمة لأناشد علماء المسلمين وقادتهم أن يبادروا إلى سد الثغرات المصطنعة الماثلة في الطائفية والعصبية فالمسلمون أمة واحدة وليسوا طوائف أو أممًا**"(٢٨).

ونلاحظ أن الخطيب يعتمد على انتماء السامع العروبي والإسلامي، لا في عصره فقط، بل سابقه ولاحقه كذلك؛ كون الطرح الحجاجي الذي اشتملت عليه الخطيب قديم متجذِّر، ومن ثم، برز المتلقي في صورة (السامع الكوني) بحسب تعبير (ناصر الكحولي)(٢٩) الذي تأثر بشكل أو بآخر بالوجه البغيض للطائفية، مما كان له أبرز الأثر في إقناعه.

د- الأحوال الذهنيّة والنفسيّة للسامع:

إذ لابد للخطيب أن يراعي الحالة الذهنية والنفسية للسامع؛ لأنها تسهم "في كل التغيرات التي تجعل الناس يغيّرون رأيهم فيما يتعلق بأحكامهم وقد تكون مصحوبة باللذة والألم، مثل الغضب والرحمة والخوف وكل الانفعالات"(٣٠) قد تؤثر في اقتناعه من عدمه.

ومن ذلك الخطبة المعنونة (الأمة الإسلامية تقف على أبواب حقبة تاريخية)، جاء فيها:

"ولا شك أنكم تشاركونني الألم والحسرة على ما آل إليه حال الشعب العراقي من عذاب ومعاناة بعد أن قرر النظام الحاكم أن يجعل من شعبه ضحية من ضحاياه"(٣١).

ونلاحظ أن الخطيب قد راعى الحالة الذهنية نفسية للسامع سواء كان من الشعب العراقي الشقيق أو غيره، مما برز في نفيه الشك عن اتفاق السامعين معه في التعاطف مع الشعب العراقي الشقيق، ومن ثم، جاء الطرح الحجاجي متعالقًا مع الحالات النفسية المتعددة للسامعين، كخلوّ الذهن، الشكّ والتردّد، الإنكار والجحود أو غير ذلك باختلاف الأحوال النفسيّة؛ لتتفق جميعها في التعاطف مع مأساة الشعب العراقي، واجتياح القوات العراقية لأراضيه.

ويتبين مما تقدم أن هناك سمات وخصائص يجب توافره من أجل نجاح العملية الحجاجية ومن أهمها: السمات المتعلقة بالمتكلم والسامع، كما أن هناك ضوابط مؤثره في محتوى الخطب وهي العناصر الكائنة زمن القول وهذا ما سنكشف عنه. فما تلك العناصر؟

٣-العناصر الكائنة في زمن القول:

يعتمد الحجاج البلاغيّ على قدرة المتكلم على توصيل محتوى الخطاب للسامع، فضلًا عن إقناعه بما يشتمل عليه من أفكار، ولا يتحقق ذلك إلا بحسن اختيار الألفاظ ذات الدلالة الواضحة، والإلماح أحيانًا بما يريده المتكلم، بمعنى: الاعتماد على الخلفية المعرفيّة لدى السامع، وإدراكه مراد المتكلم بما لا يُشكُّ في وقوعه.

وهناك عوامل تؤثر في محتوى الخطبة التي يوردها الخطيب؛ سعيًا لإقناع سامعه، والتأثير فيه، كزمن الخطبة الذي يؤثر في مضمون الخطاب، فما تشتمل عليه الخطبة الدينية يختلف عن نظيره في الخطبة التي يوجِّهها الخطيب للمواطنين، ويجب أن يتسق زمن الخطبة مع المناسبة كذلك.

ويدخل عنصر المكان والمقام ضمن العوامل التي تؤثر في محتوى الخطبة مما نجده في خطب الملك عبد الله، رحمه الله تعالى؛ إذ جاءت جلُّ خطبه متعلقة بموسم الحج، وما في ذلك من اجتماع حجيج بيت الله، ومن ثم، كان للمكان أثره الحجاجي الفاعل في الأطروحة الحجاجيّة التي لامست منسكًا دينيًّا يراه السامعون، بمختلف ثقافاتهم، وكان له أثره الحجاجي الواضح.

وستدرس الباحثة هذه العوامل بالاستشهاد والمدارسة كما يلي:

أ- زمن القول في خطب الملك عبد الله بن عبد العزيز

إن زمن الخطبة يؤثر في الخطيب والرسالة التي تشتمل عليها الخطبة؛ لأن ما يقوله الخطيب في شهر رمضان لابد أن يتأثر بزمن القول، وكذلك خطبته في مناسبة وطنية أو غيرها ينعكس بشكل أو بآخر على الحجاج البلاغيّ في الخطبة، وهو ما تحقق في خطب الملك عبد الله، رحمه الله، ومن ذلك خطبته المعنونة لا ترهب ولا رهبانية في الإسلام، جاء فيها:

"**إنه لمما يسعدنا أن نستقبل هذا العيد المبارك، والمد الإسلامي إلى جميع دول العالم يشتد صلابة أمام جميع المذاهب الهدامة التي انجرف البعض في متاهاتها مما أوقعهم في صراع القلق والحيرة**"(٣٢).

وقد وردت الكلمة أعلاه في شهر ذي الحجة، ككلمة ضافية وجَّهها خادم الحرمين الشريفين، الملك عبد الله، رحمه الله، لجموع المواطنين، ومن ثم، كان زمن القول في نهاية موسم الحج.

وقد استلهم الخطيب المعاني السامية لذلك الوقت الذي يقف فيه جميع المسلمين أمام بيت الله الحرام، فعرض للقضية التي اشتملت عليها الخطبة، إلا وهي تماسك الشريعة الإسلامية، كمنهاج ربَّاني، في مقابل تهافت المذاهب الوضعيّة التي وصفها ب الهدَّامة، وهو ما وسم الكلمة التي ألقاها بالتوجه الديني الفكري الذي يقارن بين شريعة الإسلام الغرَّاء وسائر مذاهب بني البشر مما يعتمد على السنن المكتوبة التي لا يملك السامع إلا التسليم بها؛ لتوفُّر الآيات القرآنية، والآثار الواردة في هذا الصدد في وجدانه؛ لأن "الناس إنما يتحركون بالطبع لأحد قولين إما قول برهاني وإما قول ليس ببرهاني"(٣٣).

وكان لزمن القول، وما يقترن به من مظاهر وحدة المسلمين، أثره الحجاجي لإقناع السامع بالقضية الحجاجيّة محل النقاش، مما مثَّل الأطروحة الحجاجيّة في الخطاب؛ إذ رأى السامع حجيج بيت الله الحرام، من كافة البدان والأصقاع، يقفون صفًّا واحدًا، ملبّين داعين ربًّا واحدًا، مما كان له أثره في إقناع السامع(٣٤).

وتكرر زمن القول في كلمته، رحمه الله تعالى، في شهر ذو الحجة عام ١٤٠٤هـ لتهنئة المسلمين بعيد الأضحى المبارك، جاء فيها:

"**من نعم الله أن الحج يوفر للمسلمين، من مختلف بقاع الأرض، أكرم الفرص للتلاقي والتدارس والاتفاق والعمل، ولا خلاف أن التفقه في أمور ديننا يكتمل بتدبر أمور دنيانا، فالإسلام دين ونظام.**

إنه النظام الأمثل والوحيد القادر على حل مشكلات الحياة وقضايا الإنسان، فلم يعد خافيًا على أحد أن الأنظمة المنبثقة عن المادية تتهاوى اليوم يمينًا ويسارًا تحت مطرقة الخيبة والفشل، وإن قدرة المسلمين على الاستجابة للتحديات المعاصرة، والارتفاع إلى مستواها، والرد عليها، مرهونة بارتفاعهم إلى المستوى الإسلامي في النية والعمل"(٣٥).

أكد الشاهد على مبدأ التلاقي والاستفادة من موسم الحج لدراسة التحديات التي تواجه المسلمين، وكان لزمن القول أثره في الخطاب؛ إذ أتى في شهر ذي الحجة الذي يؤدي فيه المسلمون فريضة الحج، وما في اجتماع المسلمين فيه من مميزات أثارها الخطيب في الشاهد التي تناولت الإسلام كدين وشريعة لم تترك أتباعها عبثًا تتقاذفهم المذاهب الوضعية البشرية، مما كان له أثره الحجاجيّ لدى السامع؛ كون زمن الخطبة يتسق مع الهدف العام لها: التأكيد على شمولية الإسلام للدين والدنيا في شتى المجالات والمعاملات(٣٦).

وقد بين الخطيب أن الأنظمة المادية لم تستطع أن تحقق للإنسان السعادة والاستقرار ولمّ الشمل، وهو ما اقترن بتأكيده على قدرة الإسلام على تحقيق ذلك، مع ربط ذلك كله بقدرة المسلمين على مواجهة التحديات والهجمات الفكرية التي تختبئ وراء المذاهب المادية التي لا فائدة منها، ومن ثم، كان لزمن القول تأثيره على السامع؛ كون زمن القول في الخطبة مقرون بما يراه من تجمع المسلمين من كافة البقاع لتأدية المناسك، ومدارسة شؤون المسلمين على هامشها، وهو ما يرتكز على أن تقترن العملية الحجاجيّة بما يُمارس على أرض الواقع، وإلا فقدت تأثيرها في السامع(٣٧).

ب- مكان القول في خطب الملك عبد الله

ومن ذلك خطبة الملك عبد الله المعنونة الدعوات الكبرى لا تُستورد ولا تصدَّر إنها قناعة عقل واقتناع ضمير، جاء فيها:

"نحمد الله، جلت قدرته، الذي من على حجاج بيت الله الحرام، وزار مسجد رسوله، صلى الله عليه وسلم، بأن وفقهم للوقوف على صعيد عرفات، ونفرتهم منها إلى المشعر الحرام ومنى، ذاكرين الله، شاكرين نعمه وآلائه...

أيها الإخوة المسلمون..

من نعم الله أن الحج يوفر للمسلمين أكرم الفرص للتلاقي والتدارس والاتفاق والعمل، ولا خلاف أن التفقه في أمور ديننا يكتمل بتدبر أمور دنيانا"(٣٨).

وعرض الخطيب لقضية الاستفادة العملية من اللقاء في الحج، وأنه يوفر الفرصة لدراسة مشكلات الأمة الإسلامية، والعقبات التي تقف أمام الصف الإسلامي، وهو ما كان للمكان أثره فيه، مما نبَّه إليه الخطيب في قوله: وفَّقهم للوقوف على صعيد عرفات، ونفرتهم إلى المشعر الحرام ومنى، وكان لظهور المسلمين يؤدون مناسك واحدة في مكان واحد دلالته على وحدة الدين، وهو ما كان له أثره الحاجي في اقتناع السامع بما يراه؛ كون المكان الوارد في الخطبة يوجِّه إلى المنحى الديني والدنيوي معًا.

اتسمت القضية الحجاجيّة بالجمع بين البُعدين: الديني المتمثل في أداء مناسك الحج، والدنيوي المتمثل في دراسة القضايا الإسلامية التي تخص الأمة، وهو ما رسَّخ لاقتناع السامع بالربط بين التفقه في أمور

الدين، وتدبُّر أمور الدنيا كحكمة واضحة من الحج تجمع بين الطرفين، مما كان أبلغ في إقناع السامع والتأثير عليه؛ اعتمادًا على فهم المتلقي لطبيعة المكان وما يقترن به من مناسك تؤكد وحدة المسلمين مما يترسَّخ في ذهنه، بحسب ما أورد القرطاجني: "إن المعاني لها حقائق موجودة في الأعيان ولها صور موجودة في الأذهان ولها من جهة ما يدل على تلك الصور من الألفاظ وجود في الأفهام، ولها وجود ما يدل على تلك الألفاظ من الخط يقيم صور الألفاظ وصور ما دلت عليه في الأفهام والأذهان"(٣٩).

وتأكد هذا التوجه المرتبط بالمكان في الخطبة المعنونة القدس أمانة في أعناق المسلمين، جاء فيها:

"يطيب لي أن أهنئ حجاج بيت الله الحرام بما وفقهم الله إليه من حج مبرور وسعي مشكور، سائلا المولى عز وجل أن يتقبل من الجميع صالح الأعمال، وأن يوفقنا إلى ما فيه خير ديننا ودنيانا، إنه على ما يشاء قدير.

أيها إخوة المسلمون..

إن البشرية بجميع شعوبها، وبعد أن تجاوزت مراحل التعارف والتعاون والترابط إلى التكامل، باتت تتطلع إلى عقيدة متكاملة تنظم شؤونها الدنيوية، وتنظم حياتها الضميرية، وتخرج بها من القلق المجهول إلى الشوق المعلوم، ولا سيما بعد أن سقط كل ما انبثق عن المادية من مذهبيات وأنظمة ومناهج"(٤٠).

إذ نلاحظ أن الخطيب قد استعان بدلالة المكان: المشعر الحرام، باعتباره مكانا لأداء مناسك الحج؛ لإقناع السامع بالقضية الحجاجيّة محل المناقشة؛ ليترسخ في اعتقاده أن محل أداء المناسك دليل لوحدة المسلمين، وأنه بمثابة الرمز لوحدتهم وقدرتهم على تخطي الأزمات والصعاب يدًا واحدة، كحجة تتلامس مع الواقع لتقوية الصنائع الظنونيّة(٤١)، وصفًّا واحدًا، في مقابل تأكيد الخطيب على فشل الأنظمة المادية، والمذهبيات الوافدة في احتواء الجنس البشري، وتوحيد طاقاته في مجرى واحد يصب في صالح البشرية.

وكان للمكان دلالته على تلقي الأوامر الدينية، وما يتفرع عليها من منهج للحياة، من مصدر واحد، فيلتقي معتنقوه في مكان واحد لأداء مناسك واحدة، باعتباره دليلا عمليا حيّا على وحدة التوجُّه، والبُعد عن التشرذم والتمذهب، مما كان له أبلغ الأثر في إقناع السامع بالأطروحة الحجاجيّة التي تضمنتها الخطبة.

ج- المناسبة في خطب الملك عبد الله بن عبد العزيز

وقد عدَّ حازم القرطاجني مراعاة المناسبة مما يحمل على اقتناع السامع بما يُقال، إذ أورد: "ولما كان الأسلوب في المعاني بإزاء النظم في الألفاظ وجب أن يُلاحَظ فيه من حسن الاطِّراد والتناسب، والتلطُّف في الانتقال عن جهة إلى جهة، والصيرورة من مقصد إلى مقصد، ما يُلاحَظ في النظم من حسن الاطراد من بعض العبارات إلى بعض ومراعاة المناسبة ولطف النقلة"(٤٢).

"ولذا، فإنني من هذه الرحاب الطاهرة، وبهذه المناسبة الكريمة، أناشد القائمين على الأمر، ولاسيما في إيران بعد أن استجاب العراق الشقيق لنداء السلام أن يتأملوا في المنطق الباطني للأحداث، وفي مسارها وفيما يترتب عليها من جسام المسؤوليات أمام الله والمسلمين، لا بل أمام الإنسانية بجميع شعوبها التي تنعطف اليوم نحو الإسلام؛ لتتخذ منه نظامًا وموردًا"(٤٣).

وتمثلت الأطروحة الحجاجيّة في ضرورة نبذ العنف، والسعي للإصلاح بين المسلمين؛ انطلاقًا من وحدة المسلمين التي يرمز لها الحج، وهو ما نبَّه إليه الخطيب في الخطبة، في قوله: وبهذه المناسبة الكريمة؛ كون المناسبة ترتبط باجتماع المسلمين، من كافة بلدان العالم لأداء شعائر الحج، صفًّا واحدًا، يجمعهم زي واحد وعبادة واحدة، ومن ثم، كان ما ترتبط به المناسبة متناسبًا مع تدارس قضايا الأمة على هامش المناسك والشعائر؛ انطلاقًا من قضية حجاجيّة أكد عليها الخطيب، وهي أن مناسبة الحج فرصة لتلاقيّ ومواجهة التحديات التي تحيط بالأمة، مما يشترك فيه السامعون ويعونه، وهو ما نبَّه إليه الجاحظ بقوله: "ومدار الأمر على أفهام كل قوم بمقدار طاقتهم، والحمل عليهم على أقدار منازلهم"(٤٤).

وبناء عليه، وجه الخطيب الدعوة للطرف الإيراني في الحرب العراقيّة الإيرانيّة لقبول السلام، والمشاركة الإيجابية في مبادرة وقف إطلاق النار؛ بوصفه عنصرًا فاعلًا في الأزمة، منتميًا للنسيج الإسلامي الذي يحتفي بالآخر المسلم، فيصون دمه ومقدَّراته، ومن ثم، فلا يصحُّ أو يليق أن يكون حجيج بيت الله الحرام يؤدون مناسك الحج، فيما ينشغل آخرون، من بني جلدتهم، بقتال بعضهم بعضا مما يتنافى مع الحكمة من الحج، ويقوِّض أركانها.

وجاء عنصر المناسبة التي ترتبط بها الخطبة متسقة مع أطروحتها الحجاجيّة، مما خاطب عقل السامع ووجدانه(٤٥)، وهو ما كان له أثره في إقناعه بالأطروحة الحجاجيّة محل النقاش، وإظهار رافض السلام بمظهر المعتدي الذي يجب على جميع أفراد الكيان المسلم حضَّه على وقف إطلاق النار، والانخراط في مبادرة السلام التي طرحها الخطيب، وتحميله مسؤولية تجاهل هذه الدعوة.

وتجلى أثر المناسبة في خطبة الملك عبد الله، رحمه الله، والمعنونة أعيادنا فرصة للتآلف والتآخي، وجاء فيها:

"كما يطيب لي، بهذه المناسبة العظيمة أن نتوجه إلى إخواننا المواطنين والحاجين، وإلى جميع شعوب العالم الإسلامي بأطيب التهاني سائلين الله أن يعيد هذه الأيام الخالدة على الجميع باليمن والأمن في عزة ومنعة وسلام.

ما من شك في أننا نستقبل اليوم هذا العيد بقلوب ملؤها الأسى والألم لما يعانيه إخوان لنا في مختلف بقاع الأرض من ظلم وقهر واضطهاد، وكيف لنا أن ننعم بالحياة، أو أن نسعد في المناسبات، وصرخات المكلومين والمظلومين والمحرومين تهزُّ مشاعرنا، وتحزُّ في نفوسنا، يحملها إلينا الأثير بالصوت

والصورة من شعب البوسنة والهرسك، ومن أبناء شعب فلسطين المناضلين في الأراضي المحتلة، ومن المُبعَدِين عن دارهم وأهليهم إلى فيافي جنوب لبنان"(٤٦).

ونلاحظ أن الخطيب أعلاه ربط بين المناسبة عيد الأضحى والأطروحة الحجاجية التي اشتمل عليها، وتمثَّلت في وجوب الشعور بالآخر المسلم الشقيق؛ انطلاقًا من المناسبة التي يمثِّلها عيد الأضحى من التضحية والفداء، واستبطان جوهر المناسبة التي تعبِّر عن الجسد الواحد الذي ينتمي له السامعون، وهو ما يتناقض مع تجاهل صرخات المضطهدين من بعض المسلمين في شتى بقاع الأرض، ويحمل السامع مسؤولية وجدانية تجاه أولئك الضحايا والمعذبين، ومن ثم، فقد اعتمد الخطيب على مناسبة مقرونة باستدرار تعاطف السامع مع القضية الحجاجيّة المثارة، واعتمد السامع على إثارة وجدان السامع، بحسب ما أورد الفارابي: "ومن ذلك أن يوطئ القائل ببعض الانفعالات نفس المقصود إقناعه لقبول ما يلتمس إقناعه فيه إما بتطييب نفسه، أو يكسبه بقوله عضبًا أو رحمة"(٤٧)، ومن ثم، استمالته إليه بما يقترن بالمناسبة من اجتماع المسلين لتدارس التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية بأسرها، لا فرق بين لون ولون أو عرق وآخر، مما كان له أثره في اقتناع السامع بوجوب التعاطف مع الإخوة المسلمين.

وتبرز المناسبة الاجتماعية في الخطبة المعنونة الاقتصاد في الماء واجب شرعي، جاء فيها:

"**ويسرُّني في هذا اليوم: الأحد الموافق ١٤١٩/١٢/٢٥هـ، أن أبارك انطلاقة المرحلة الثانية من هذه الحملة الوطنية، داعيًا الجميع للإسهام والمشاركة الفعَّالة في إنجاحها، والتجاوب مع أهداف التوعية، وبرامج الترشيد المرجوَّة من هذه الحملة؛ لكي نحافظ على الماء، كأغلى ثروة في الوجود، تدوم لنا وللأجيال القادمة"**(٤٨).

ونلاحظ أن القضية الحجاجيّة المطروحة تتمثل في ندرة المياه، ووجوب المحافظة عليها، وعدم إهدارها فيما لا يفيد، مما اقترن بمناسبة اعتمد عليها الخطيب، وتمثَّلت في الحملة الوطنية لترشيد استهلاك المياه.

واعتمد الخطيب على أسلوب النصح والتوعية، ودعوة السامع إلى التجاوب مع الحملة، والمشاركة الإيجابية لإنجاحها، واقترن ذلك بتعديد محاور تلك المشاركة، كالتجاوب مع أهداف التوعية، والمشاركة في إنجاح برامج الترشيد المرجوة، وربط ذلك كله بقيمة الماء الذي يعد الثروة الأغلى في الوجود.

وكان لاعتماد الخطيب على المناسبة أثرها في إقناع السامع؛ لاندراجها تحت الجهود المجتمعية للاستفادة من الموارد المائية، وما في ذلك من تماسّ الأطروحة الحجاجيّة مع واقع الحياة، فجاء أسلوب الخطيب إرشاديًّا يعتمد على محاورة عقل السامع، ومحاولة اجتلابه للاقتناع بالأطروحة الحجاجيّة في الخطبة؛ كون "الذي يهذي جون انشغال بردود فعل من يسمعه لا يعتبر إنسانًا عاقلًا يسعى إلى أن يقاسم الآخرين قناعاته(٤٩).

د- المقام في خطب الملك عبد الله

مراعاة المقام من العوامل التي تؤثر في اقتناع السامع بالقضية الحجاجيّة المطروحة، التي تضمن حالة من التواصل الذهني بين الخطيب والسامع، بحسب ما أورد محمد ناصر كحولي في قوله: "ويعتقد بيرلمان أنه لما كان الهدف استدعاء تسليم السامع بالأطروحة المعروضة عليه، أو زيادة درجة ذلك التسليم، فإن ذلك يفترض تماس أذهان بين الخطيب والسامع سواء بخطاب يُسمَع أو يُقرأ، وإذا أراد الخطيب أن يؤثر تأثيرًا ناجعًا بواسطة خطابه، فعليه أن يتكيف مع سامعه، ومن وجوه التكيف الأخذ بعين الاعتبار الانطلاق من المقدمات التي يسلِّم بها السامع"(٥٠).

ويلاحظ مما سبق على مراعاة الخطيب لطبيعة السامع، وظروف الخطبة، وجميع ما يتصل بالمقام باعتباره عنصرًا له أثره في عملية الحجاج، وحمل السامع على الاقتناع، وهو ما نجده في خطب الملك عبد الله، رحمه الله، ومن ذلك خطبته المعنونة الدعوات الكبرى لا تُستورد ولا تصدَّر إنها قناعة عقل واقتناع ضمير، جاء فيها:

"**فعندما أرادت الدول العظمى أن تمكِّن لإسرائيل من الوجود كدولة، بذلت كل جهد لاقتلاع العرب من تربة الإسلام، حيث أغرقت بعض الأقطار العربية بطوفان من المذاهب الوافدة، وإننا حينما نتأمل في تلك المذاهب التي مزَّقت العالم العربي، وفرَّقت العرب: صفًّا وهدفًا، نجد أن طوفانها بدأ يوم مولد إسرائيل الدولة، وتعاظَم حاملًا معه إلى العرب، لا بل وأيضًا إلى المسلمين النكبة بعد النكبة، والهزيمة تلو الهزيمة، فإسرائيل كما نعلم لا تستمدُّ قواها من ذاتها، ولا حتى من أصدقائها الكبار فقط، بل من تفكُّك العرب، وانفكاكهم عن الإسلام، واحتجابهم عن المسلمين**"(٥١).

إذ جاءت الخطبة تهنئة للمسلمين بحلول عيد الأضحى عام ١٤٠٤هـ، وعرضت الخطبة للتحديات المعاصرة التي تتصدرها القضية الفلسطينية، ومعاناة العالم العربي والإسلامي من المذاهب الوضعية الوافدة، وتيارات الغزو الفكري، مما راعاه الخطيب فيما اشتملت عليه الخطبة من أطروحة حجاجيّة؛ ليتحقق له "إدراك الطالب، وإقناع السامع"(٥٢).

وجاء التحذير من الانقسام والتشتت في العالمين: العربي والإسلامي في مقدمة الموضوعات التي اشتملت عليها الخطبة، وتناول المتكلم الآليات التي استعملتها الدول العظمى في ذلك الصدد، ومنها إغراق المسلمين في طوفان من المذاهب المادية الوافدة، وهو ما تزامن مع مرحلة ما قبل انهيار الاتحاد السوفيتي عام ١٩٩١م، وما يعلمه السامع من مقدمات انهيار الشيوعية التي كان لها أعظم الأثر في توجه كثيرين إلى المادية، باعتبارها نتيجة متفق عليها، وهو ما اعتمد عليه الخطيب؛ باستشهاده بتلك النتيجة، كما أورد الفارابي: "ومنها الشهادات، وهي أن يستشهد الإنسان لقوله بقوم يُركَن إليهم، فضلًا عن الاستشهاد، في الجانب المقابل، بما قرره القرآن الكريم من وحدة المسلمين"(٥٣)، ومن ثم، كان لمراعاة المقام

أثرها في إبراز وحدة السلمين في مقابل انهيار الشيوعية مما يراه السامع ويسمعه في موسم الحج من تلبية واحدة لرب واحد، وهو ما ضمن تفاعل السامع مع الخطيب، واقتناعه بالأطروحة الحجاجيّة التي راعت المقام والظروف الخارجية المحيطة بالسامع.

ومما راعى فيه الخطيب المقام، خطبته المعنونة أعيادنا للتعاطف والتآخي، جاء فيها:

"**إن لأعيادنا الإسلامية معانيها السامية، وأهدافها النبيلة، فلنتخذ من أعيادنا ولقاءاتنا فرصة للتآخي والتعاطف والتراحم والتسامح والتناصح فيما بيننا؛ امتثالًا لكل ما تزخر به عقيدتنا الإسلامية من تعاليم واضحة جلية تدعو جميعها إلى سبل الخير، وتوجّهنا إلى كل ما فيه صلاح ديننا ودنيانا**"(٥٤).

وعرض المثال لأطروحة حجاجية تمثَّلت في أهمية الأعياد والمناسبات الدينية لدى المسلمين في إرساء القيم السلوكية الإيجابية لدى المسلم تجاه الآخر.

كما راعى ضمن الكلمة التي وجَّهها خادم الحرمين الشريفين، الملك عبد الله للمواطنين والوافدين لأداء مناسك الحج.

ولم يغفل الخطيب عن المناسبات الدينية ذات الصبغة الاجتماعيّة، ومنها الأعياد التي تظهر فيها روابط الأخوة التي حضَّ عليها الإسلام، ورغَّب فيها الشرع الحنيف؛ إذ تتبدَّى فيها مظاهر الرحمة والإخاء، وصلات الأرحام، وهو منحى ديني دعا إليه الله تعالى في محكم كتابه، مما اعتمد على السنن المكتوبة المرتبطة بالمقام مما يضمن تفاعل السامع واقتناعه، فضلًا عن الأسلوب المفعم بالروحانية الخالصة التي ناسبت المقام مما راعاه الخطيب في الخطبة كما ذكرنا آنفًا.

النتائج:

ويتبين مما تقدم أن هناك سمات وخصائص يجب توافره من أجل نجاح العملية الحجاجيّة ومن أهمها: السمات المتعلقة بالمتكلم كالأوضاع الشخصيّة والجسميّة والمؤسسيّة والمظهريّة والأحوال الذهنيّة والنفسيّة للخطيب، وكذلك هناك سمات وخصائص تتعلق بالسامع كالأوضاع الشخصية والاقتصاديّة والسياسيّة والدرجة العلميّة والانتماء الثقافي، كما أن هناك ضوابط مؤثره في محتوى الخطب وهي العناصر الكائنة زمن القول تضمن تفاعل السامع مع الأطروحة الحجاجيّة التي تشتمل عليها الخطبة، وتمثَّلت في: زمن القول ومناسبته ومكانه ومقامه، وهي عناصر حجاجيّة تؤثر في محتوى الخطبة التي يوردها الخطيب، ويكون لها أثر حجاجي يضمن تفاعل السامع مع الخطيب.

التوصيات:

- تسليط الضوء على الحجاج في الأبحاث، لأنه لم يجد الحظوة الكافيّة.
- نوصي الباحثين بدراسة سمات السامع والتوسع فيه.

(١) سليمان بن محمد الحديثي، سيرة تاريخية وثائقية، تقديم: عبد الله بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود جداول للنشر والترجمة والتوزيع، ط.١، ٢٠١٤م، ص١٨.

(٢) محمد مشبال، في بلاغة الحجاج: نحو مقاربة بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٨م، ص١٧٤.

(٣) الفارابي، كتاب في المنطق، ص٣٨.

(٤) خادم الحرمين الشريفين، خطب وكلمات الملك عبد الله بن عبد العزيز، ص١٢.

(٥) أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري، جمل من أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٩٦م، ٢/٢٣٦.

(٦) خادم الحرمين الشريفين، خطب وكلمات الملك عبد الله بن عبد العزيز، ص٤٩٤.

(٧) محمد مشبال، في بلاغة الحجاج، ص١٧٧.

(٨) ينظر: عبد اللطيف بن محمّد الجفن، الحجاج بالإيتوس في المقامة المكّيّة للحريري، مجلة الآداب للدراسات اللغوية والأدبية، ٢٠٢٣، مجلد ٥، عدد ٤، ص٤٧٣.

(٩) خادم الحرمين الشريفين، خطب وكلمات الملك عبد الله بن عبد العزيز، ص٥٠٦.

(١٠) ينظر: الجاحظ، رسائل الجاحظ، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٦٤م، ٣/٢٢٧، وينظر: محمد مشبال، في بلاغة الحجاج، ص١٩٢.

(١١) ينظر: عبداللطيف بن محمد الجفن، مقاربة الخطاب الأدبيّ – بين بلاغة الحِجاج وبلاغة الأسلوب، مجلة الآداب للدراسات اللغوية والأدبية، ٢٠٢١، العدد ٦، ص٢٤٢.

(١٢) خادم الحرمين الشريفين، خطب وكلمات عبدالله بن عبدالعزيز، ص٥١٩.

(١٣) ينظر: شايم بيرلمان، الإمبراطورية البلاغية، ص١٤٣.

(١٤) خادم الحرمين الشريفين، خطب وكلمات الملك عبدالله، ص١٧.

(١٥) محمد مشبال، في بلاغة الحجاج، ص٩٣.

(١٦) ينظر: سعيد بن محمد بن علي آل موسى، مغالطات فرعون الحجاجية مع موسى عليه السلام في القصص القرآني، مجلة الآداب للدراسات اللغوية والأدبية، ٢٠٢٣، مجلد٥، عدد١، ص٦٠٧.

(١٧) محمد الكحولي، الحجاج الخطابي، ص٢٢٤.

(١٨) خادم الحرمين الشريفين، خطب وكلمات الملك عبد الله بن عبد العزيز، ص١١.

(١٩) خادم الحرمين الشريفين، خطب وكلمات الملك عبد الله بن عبد العزيز، ص٢٥٥.

(٢٠) محمد مشبال، في بلاغة الحجاج، ص٢٥٨.

(٢١) ينظر: عصام واصل، رواية (بلاد القائد): دراسة في ضوء سيمياء العواطف، مجلة العلوم التربوية والدراسات الإنسانية، ٢٠٢٣، العدد ٣٣، ص٨٩٧.

(٢٢) خادم الحرمين الشريفين، خطب وكلمات الملك عبد الله بن عبد العزيز، ص١٢، والآية من سورة الإسراء: ٧٠.

(٢٣) بيرلمان، الإمبراطورية الخطابية، ص٨٤.

(٢٤) خادم الحرمين الشريفين، خطب وكلمات الملك عبد الله بن عبد العزيز، ص١٣٢.

(٢٥) محمد مشبال، في بلاغة الحجاج، ص٢٥٩.

(٢٦) محمد كحولي، الحجاج الخطابي، ص٢٢٥.

(٢٧) ينظر: بيرلمان، الإمبراطورية الخطابية، ص٨٩.

(٢٨) خادم الحرمين الشريفين، خطب وكلمات الملك عبد الله بن عبد العزيز، ص٧١.

(٢٩) ينظر: محمد كحولي، الحجاج الخطابي، ص٢٢٧.

(٣٠) أرسطو، الخطابة، ص١٦.

(٣١) خادم الحرمين الشريفين، خطب وكلمات الملك عبد الله بن عبد العزيز، ص١١٧.

(٣٢) نفسه، ص١١.

(٣٣) محمد القرطابي، تلخيص كتاب الشعر، تحقيق: بترورث وهريد، الهيئة المصرية، القاهرة، ١٩٨٦م، ص٨٧.

(٣٤) ينظر: محمد كحولي، الحجاج الخطابي، ص٥٥.

(٣٥) خادم الحرمين الشريفين، خطب وكلمات الملك عبد الله بن عبد العزيز، ص٤٤.

(٣٦) ينظر: محمد عبد الرؤوف حمزة، المشاركة في الشريعة الإسلامية، بحث تمهيدي منشور لنيل درجة الماجستير، جامعة سانت كليمنتس، مكتب الارتباط الرئيسي، الشارقة للاستشارات الأكاديمية والجامعية، ٢٠٠٦-٢٠٠٧م، ص٥.

(٣٧) ينظر: شاييم بيرلمان، الإمبراطورية البلاغية، ص٨٢.

(٣٨) خادم الحرمين الشريفين، خطب وكلمات الملك عبد الله بن عبد العزيز، ص٤٣- ٤٤.

(٣٩) حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص١٩.

(٤٠) خادم الحرمين الشريفين، خطب وكلمات الملك عبد الله بن عبد العزيز، ص٧٠-٧١.

(٤١) ينظر: محمد الكحولي، الحجاج الخطابي، ص١١٥.

(٤٢) حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص١٥٢.

(٤٣) خادم الحرمين الشريفين، خطب وكلمات الملك عبد الله بن عبد العزيز، ص٤٤.

(٤٤) الجاحظ، البيان والتبيين، ٩٥/١.

(٤٥) ينظر: محمد كحولي، الحجاج الخطابي، ص٥٢-٥٣.

(٤٦) خادم الحرمين الشريفين، خطب وكلمات الملك عبد الله بن عبد العزيز، ص١٣٢.

(٤٧) الفارابي، كتاب في المنطق، ص٣٤.

(٤٨) خادم الحرمين الشريفين، خطب وكلمات الملك عبد الله بن عبد العزيز، ص٢٥٥.

(٤٩) ينظر: شاييم بيرلمان، الإمبراطورية البلاغية، ص٨٦.

(٥٠) محمد الكحولي، الحجاج الخطابي، ص٥٩.

(٥١) خادم الحرمين الشريفين، خطب وكلمات الملك عبد الله بن عبد العزيز، ص٤٥.

(٥٢) السبكي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، ٩١/١.

(٥٣) ينظر: محمد ناصر كحول، الحجاج الخطابي: أسسه وتقنياته في ثمرات الأوراق لابن حجة الحموي، ص١١٩، وينظر: الفارابي، كتاب في المنطق، ص٣٤.

(٥٤) خادم الحرمين الشريفين، خطب وكلمات الملك عبد الله بن عبد العزيز، ص١٣٢.

المراجع:

أحمد بن يحي بن جابر بن داود البَلَاذُري، جمل من أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر، بيروت، ط.١، ١٩٩٦م.

أرسطو، الخطابة، ترجمة: عبدالرحمن بدوي، دار الرشيد، د.ت.

بيرلمان، الإمبراطورية الخطابية، ترجمة: الحسين بنو هاشم، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، ٢٠٢٢.

الجاحظ، رسائل الجاحظ، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٦٤.

حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، موسوعة الشعر العربيّ، الإصدار الأوّل، ٢٠٠٩.

خادم الحرمين الشريفين، خطب وكلمات الملك عبد الله بن عبد العزيز، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ١٤٢٨.

السبكي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، المكتبة العصرية..

سعيد بن محمد بن علي آل موسى، مغالطات فرعون الحجاجية مع موسى عليه السلام في القصص القرآني، مجلة الآداب للدراسات اللغوية والأدبية، ٢٠٢٣، مجلد ٥، عدد١، ١—١٢٢. https://doi.org/10.53286/arts.v5i1.1438.

سليمان بن محمد الحديثي، عبد الله بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود، سيرة تاريخية وثائقية، جداول للنشر والترجمة والتوزيع، ط.١، ٢٠١٤م.

عبد اللطيف بن محمّد الجفن، الحجاج بالإيتوس في المقامة المكّيّة للحريري، مجلة الآداب للدراسات اللغوية والأدبية، ٢٠٢٣، مجلد ٥، عدد ٤، ٤٦٨—٤٨٧. https://doi.org/10.53286/arts.v5i4.1673.

عبداللطيف بن محمد الجفن، مقاربة الخطاب الأدبيّ – بين بلاغة الحِجاج وبلاغة الأسلوب، مجلة الآداب للدراسات اللغوية والأدبية، ٢٠٢١، العدد ٦، ٢٣٧—٢٦٠. https://doi.org/10.53286/arts.v1i6.

عصام واصل، رواية (بلاد القائد): دراسة في ضوء سيمياء العواطف، مجلة العلوم التربوية والدراسات الإنسانية، ٢٠٢٣، العدد ٣٣، https://doi.org/10.55074/hesj.vi33.840.

الفارابي، كتاب في المنطق: الخطابة، تحقيق محمد سليم سالم، مطبعة دار الكتب، القاهرة ١٩٧٩م.

محمد القرطابي، تلخيص كتاب الشعر، تحقيق: بتورث وهريد، الهيئة المصرية، القاهرة، ١٩٨٦م.

محمد عبد الرؤوف حمزة، المشاركة في الشريعة الإسلامية، بحث تمهيدي منشور لنيل درجة الماجستير، جامعة سانت كليمنتس مكتب الارتباط الرئيسي، الشارقة للاستشارات الأكاديمية والجامعية، ٢٠٠٦/٢٠٠٧م.

محمد مشبال، في بلاغة الحجاج: نحو مقاربة بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٨م.

محمد ناصر كحول، الحجاج الخطابي: أسسه وتقنياته في ثمرات الأوراق لابن حجة الحموي، زينب للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى٢٠١٧م.